عدد ٢٧ السنة الثانية

المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣١٧ الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٨٩٩

خوارق العادات . والخلاف في الكرامات

عرّف الجمهور الكرامة بانها الامر الخارق للعادة يظهر على يد العبد الصالح وهو من يقوم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد . والامر الخارق للعادة اما ان يكون خرقه لها بمجيئه على خلاف سنن الكون المعروفة ونقيض ماتقتضيه أو بكونه لم تعرف له سنة طبيعية يندرج فيها وان كان في الواقع ونفس الامر مندرجا تحت ناموس طبيعي غير معروف عند كافة الناس . مثال الاول العلم والتهذيب اللذين كان عليهما نبينا عليه الصلاة والسلام مع كونه لم يتعلم ولم يتربّ وكانت نشأته في قوم هم أبعد الناس عن العلوم التي جاء بها كعلم التوحيد وعلم الشرائع وعلم الاجتماع والسياسة المدنية والحربية ومنه احياء الموتى لسيدنا عيسى وعصا سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام . ومثال الثاني المكاشفات ومعرفة بعض الامور قبل وقوعها فان للنفوس البشرية والارواح الانسانية استعداداً لهذا الامر ولله تعالى فيه سنة روحية مخصوصة كسائر السنن الكونية ولكن هذه السنة لم تزل من الامور الغامضة التي لم يهتد اليها اكثر الناس وان كثيراً ممن كان لهم نصيب من الكشف ومعرفة بعض

مايجيء به الغد لم يعرفوا حقيقة السبب في كشفهم وانه هو ما اشتغلوا به زمناً من تصفية الباطن وتقوية سلطان الروح بحيث يقدر صاحبه على صرفه عن عالم الحس وشواغل الجسد المتشعبة الكثيرة وتوجيهه الى أمر واحد . وان من خواص الروح ان ينطبع في مرآته ما يتوجه هو اليه هذا النوع من التوجه . وقد عرف هذه السنة الالهية بعض الناس ولكن طريقها لم يزل مشتبه الاعلام قاتم الاعماق لايستطيع قطعه كل سالك . وربما يجيء يوم ينجلي فيه قتامه . وتظهر فيه أعلامه . فيذهب الالتباس . ويسهل سلوكه على اكثر الناس . وقد بينا كون ماجاء به نبينا من العلم خارقاً للعادة في كتابنا « الحكمة الشرعية » عند الكلام على معجزة القرآن العظيم فنورده هنا تماماً للفائدة وهو

« القرآن هو أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ليس مقصوراً على اسلوبه البديع وارتقائه أسمى درج البلاغة وعلى اخباره بالمغيبات المستقبلة وسرده قصص الماضين من غير اطلاع عليها بل فيما اشتمل عليه من العلوم والمعارف في تهذيب البشر وبيان مصالحهم في امور معاشهم ومعادهم اعظم خارق لحجب العوائد لاسيما بالنسبة لمن ظهر على يديه والى ذلك اشار البوصيري رحمه الله تعالى بقوله

كفاك بالعلم في الاميّ معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

وبيان ذلك انه قد جرت عادة الله تعالى في خلقه بان العلم لا يحصل للانسان الا بالتعلم لاسيما العلم الذي يتعلق برعاية الامم فان القائم به يحتاج لمعرفة احوال البشر في بداوتهم وحضارتهم واختلاف شؤون الشعوب في مذاهبهم وعوائدهم . ويتوقف هذا على الوقوف على سير الاولين والحاضرين مع دقة النظر في موارد الاشياء ومصادرها وعلل الحوادث في صعودها

وهبوطها وغير ذلك من احوال طبيعة العمران البشري . واننا نرى المبرزين في علم الاجتماع ومعرفة طبيعة العمران البشري وشرائع الامم من اهل هذا العصر مابلغوا مبلغهم من العلم الا بالنظر في معارف المتقدمين عليهم وضمها الى مااختبروه بانفسهم واستنبطوه من نظرهم وتجربتهم . وهم مع هذا كله عاجزون عن الاتيان بقانون كاف واف بضبط مصالح البشر في معاملاتهم فحسب . بل نراهم مع اخذهم ببعض مااستنبطه علماء الاسلام من القرآن العزيز والسنة النبوية لا يستقيمون على قانون مدة من الزمان الا ويرجعون عن كثير من احكامه ومسائله ويستبدلون بها غيرها مما يظهر لهم انها خير منها . ولو أخذوا باصول الشريعة الاسلامية وراعوا قواعدها العامة لوجدوا فيها مايطلبون . ونالوا منها مايرغبون . وان كان كثير من اهلها عن ذلك غافلون . فهل من المعهود في البشر والمألوف من عادهم ان يأتي بمثل هذه الشريعة او بما هو دونها رجل أمي نشأ وتربى بين الاميين فلم يقرأ شيئاً من العلم على احد من الناس ولا اطلع على سير الامم السالفين ؟ ؟ وقد اشار القرآن الى ذلك فيما تحدى به الناس بقوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) بناء على ان المراد بالمثل النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد تقرير المعجزة على اكمل وجه والا فقد عجز عن الاتيان بالسورة القارئون والكاتبون والناس كلهم اجمعون

فان قلت أراك قد جعلت القرآن هو الاصل في احكام الشريعة كلها وهو وان كان مبينا لجميع ما يجب اعتقاده في الدين ولأصول التهذيب فليس مبيناً لجميع احكام العبادات والمعاملات التي تدور عليها مصالح البشر بل اكثر هذين القسمين قد أخذ من السنة واستنباط الائمة . اقول في جوابك ان القرآن اصل السنة وينبوع الاستنباط واليه يرجع الدين كله . وجميع مافاض

على لسان النبي صلى الله عليه وسلم مستمد منه وكل هاتيك الانوار العلمية مقتبسة من شمسه المضيئة ولقد كان يفهم منه مالا يفهمه سواه ولا ريب ان له طريقاً في الاخذ منه غير الطرق المعروفة عند العلماء وهو فيها على بينة من ربه ومعصوم من الخطأ في الفهم والادراك قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وربما كان ذلك الطريق هو الالهام وهو غير تعليم الملك المعروف وقد صرح الائمة واهل الاصول بان السنة مبينة للقرآن وشارحة له وقد انكر سيدنا عمر (رضي الله عنه) من تكلم في حضرته كلاماً رغب فيه عن سماع السنة اكتفاءاً بالقرآن واستبان منه معرفة الصلوات الخمس من القرآن فكان جوابه العي والحصر . واذا تسنى لفهمه تناول كونها خمساً من نحو قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر) اومن قوله (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون) فمن اين يتسنى له معرفة كون الصبح ركعتين والمغرب ثلاثا والباقيات اربعا اربعا ؟؟ وقد ارشد القرآن الى اتباع الرسول واتباع سبيل المؤمنين والى استنباط أولي العلم وهذه هي القواعد الثلاث التي يتفرع منها كل مالم يؤخذ مباشرة من القرآن من احكام الدين وظاهر ان المراد بسبيل المؤمنين هو مايتفق اهل الاجتهاد والنظر الصحيح منهم على ان فيه مصلحة أو درء مفسدة وهو المسمى في الاصطلاح الاصولي بالاجماع . وللعلماء في الاستنباط من القرآن طرق دقيقة المسلك من تأمل فيها لم يستبعد رجوع امهات الاحكام اليه بلا واسطة وذلك كاستنباطهم قاعدة (ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل للموكل لاينعزل بعزل الوكيل)

من قوله تعالى في اهل القرية (اذ أرسلنا اليهم اثنين) حيث اسند تعالى الارسال اليه وانما كان من سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام) باذنه . ومن تأمل ما يتبع هذه القاعدة المستنبطة من هذه الآية من الاحكام وما تفرع عنها من المسائل التي لم تكن تخطر عند تلاوتها بالبال لم يستبعد كون جميع الشريعة راجعة الى القرآن وكون السنة مستمدة من بحر كتاب الله الذي لم يفرط فيه من شيء يتعلق بمهمات الدين لاسيما بعد العلم بان لمن انزل عليه فهم خاص بمراد الله منه والله بكل شيء عليم اه باختصار *

ولا ريب ان معجزة العلم من الامي في مجموع الكتاب والسنة اظهر منها في الكتاب وحده سواء كانت السنة مبينة للكتاب فحسب ام كان فيها مع البيان زيادة علم سكت عنه القرآن اثباتا ونفياً تفصيلا واجمالا بحيث لا يستند اليه الا بالامر العام بطاعة الرسول واتباعه

أما الخلاف في جواز الكرامات ووقوعها فليس من اصول الدين وقواعده الاعتقادية ولذلك لم يكفر العلماء الائمة من أنكرها وهم المعتزلة والاستاذ أبو اسحق الاسفرايني والعلامة الحليمي من اكابر علماء أهل السنة . قال في المواقف وشرحه مانصه (المقصد التاسع في كرامات الاولياء وانها جائزة عندنا) خلافا لمن منع جواز الخوارق (واقعة خلافاً للاستاذ أبي اسحق والحليمي منا وغير أبي الحسين من المعتزلة) قال الامام الرازي في الاربعين المعتزلة ينكرون كرامات الاولياء ووافقهم الاستاذ أبو اسحق منا واكثر اصحابنا يثبتونها وبه قال ابو الحسين البصري من المعتزلة اه ملخصاً بحروفه *

وأما حجج المنكرين فهي خمسة اوردها التاج السبكي في الطبقات الكبرى واجاب عنها واستدل بعد ذلك على الاثبات بحجج خمسة ترجع الى اثنتين

وسنبين ذلك في المدد الآتي ان شاء الله تعالى

(حقوق الاخوة) (٤)

ومن حق الاخ على أخيه وصديقه في اللسان ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه اياه وله ان ينكره وان كان كاذباً فليس الصدق واجباً في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه (١) فان أخاه نازل منزلته وهما شخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة . وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائياً وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة (٢) وفي خبر آخر فكانما احيا موؤدة (رواه أبو داود والنسائي وغيرهما) وقال عليه السلام « اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة » (٣) وقال « المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم المتجالسان بالامانة ولا يحل لاحدهما ان يفشي على الآخر مايكره (هو مرفوعا ضعيف ومرسلا جيد) وقيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار . وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء مافي نفسه فيبديه من حيث لا يدري . فمن ههنا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز فقال

---

(١) الكذب مفسدة من اضر المفاسد والقاعدة الشرعية العقلية هي « ارتكاب اخف الضررين » عند تعارضهما ومهما وجد الى كتمان السر سبيلا لا كذب فيه وجب عليه سلوكه وحرم عليه الكذب (٢) الحديث في الصحيحين بلفظ « من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة » ورواه غيرهما بالفاظ اخرى (٣) اي التفاته بمنزلة استكتامه قولا والحديث رواه احمد وابو داود والترمذي واختلف في تصحيحه (٤) رواه ابو داود وسكت عليه فدل ذلك على حسنه عنده وقال غيره في سنده مجهول ومتكلم فيه